القرصان

محمود سالم

القرصان

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

القرصان

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٧ ٢٥٧٧ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
عودة القرصان!	١١
لا مساعدة من أحد!	١٥
رجل عجوز مخرف!	١٩
المأزق!	٢٣
تعديل في خطة رقم «صفر»!	٢٧
مدينة صغيرة في كهف كبير!	٣١
مبارزة ومفاجأة!	٣٥

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

عودة القرصان!

انتهت التدريبات الصباحية للشياطين الـ «١٣» ... وكان «عثمان» و«خالد» في انتظار ملاحظة من رقم «صفر» وكانا يعرفان أن الملاحظة سوف تصلهم خلال الميكروفون أو في رسالة قصيرة، فلم يكن من المتوقع أن يعقد رقم «صفر» اجتماعًا للشياطين في هذا اليوم ...

خرجوا من قاعات تدريبات إطلاق الرصاص على البنادق الخفيفة والمسدسات، ومن قاعات الكاراتيه، إلى حمام السباحة الرئيسي في طرف المقر السري ... وهو حمامٌ كبيرٌ مغطًّى بسقفٍ من الزجاج، ويمكن كشفه، إذا لم يكن هناك طائرات تمر بسماء المنطقة.

انهمك الشياطين في السباحة ... كان «قيس» يجرِّب طريقة جديدة في السباحة، هدفها تضليل الخصم في حالة المطاردة في المياه، وتعتمد على تغير الاتجاه والغطس بسرعة ... وأخذ الشياطين يراقبونه وهو يجرب طريقته الجديدة، وقالت «إلهام» معلقة: إنه يشبه الدرفيل ... فهو أقدر الحيوانات البحرية على تغيير اتجاهه لمرونة جسمه.

ظهر أحد المدربين الأشداء على حافة حوض السباحة، وانحنى على «خالد» الذي كان قريبًا منه، ثم همس في أذنه بكلمات سريعة واختفى، وسرعان ما كان «خالد» ينقُل الكلماتِ إلى بقية الشياطين ... «اجتماع عاجل قبل الغداء!»

كان «خالد» يفكِّر في تدريبات اليوم، وأن الاجتماع لا بدَّ سوف يدور حولها، ولكن بعض الشياطين فكروا أن اجتماعًا قبل الغداء معناه اجتماع عاجل، ومعناه أيضًا أن هناك مغامرة في الطريق.

بعد ساعة في حمام السباحة، أخذ الشياطين طريقهم إلى غرفهم، وفي الساعة الواحدة بالضبط أضيئت أنوار صغيرة متقطِّعة في الغرف، عَرَفَ الجميع منها أن الاجتماع بعد ربع ساعة ... وسرعان ما كانوا يتجهون إلى قاعة الاجتماعات الرئيسية.

سمعوا خُطُوات رقم «صفر» الثقيلة، ثم احتلَّ الكابينة الزجاجية التي يستطيع من خلال زجاجها أن يرى الشياطين دون أن يرَوْه ... ثم قال: لقد أخطرتني إدارة التدريبات اليوم بأن أحد الشياطين لم يوفَّقْ في إصابة أكثر من ٩٨ نقطة في الضرب بالبندقية القصيرة العيار.

ضغط «عثمان» على أسنانه، كانت الملاحظة موجَّهةً له ... وانتظر «خالد» الملاحظة الثانية، وجاءت سريعًا ... ولكن رقم «صفر» قال: هذا يعني احتمال فشل مهمة خطيرة، أو وفاة واحد أو أكثر منكم ... إنني لا أقبل نسبة كفاءة في أي شيء أقل من ١٠٠٪.

وظن «خالد» أنه نجا من ملاحظة موجَّهة إليه، ولكن رقم «صفر» قال: وفي الكاراتيه، فإن قفزات أحدكم غير دقيقة ... وكما قالوا لي إن ذلك يعود إلى زيادة وزنه.

كانت هذه الملاحظة موجهة إلى «خالد» ... وقال رقم «صفر»: بالطبع إن كلًّا من صاحبي هاتين الملاحظتين يعرف نفسه.

ثم أكمل على الفور: بعد هذا ننتقل إلى العمل ...

وسمع الشياطين صوت بعض الأوراق، ثم قال رقم «صفر»: تذكرون أن العالم شهد ظهور العصابات التي تعمل في البحر منذ زمنٍ بعيدٍ ... وأن هذه الظاهرة انتشرت في القرنِ الثامنَ عشرَ، خاصةً في منطقة البحر الكاريبي، وهو البحر الذي يقع بين أمريكا الشمالية والجنوبية.

وأُضيئت خريطة كبيرة للأمريكتين على الحائط ... وأخذت المؤشرات تشير إلى البحر الكاريبي.

ومضى رقم «صفر» يقول: وعرفت مناطق معينة في هذا البحر كمأوًى لقرصان البحر ... مثل «جامايكا» و«بربادوس» ... واشتهرت أسماء القراصنة مثل «مورجان» و«بيتر بلود» ... وكابتن «إرمسترنج» و«ذي اللحية السوداء» وغيرهم ...

وأكمل رقم «صفر»: وظن الكثيرون أن هذه الظاهرة، ظاهرة قرصان البحر قد انقرضت مع ظهور السفن التي تسير بالبخار، وبالسولار، ثم بالذرة ... ولكن ...

وصمت رقم «صفر» لحظاتٍ ثم مضى يقول: ولكن يبدو أن نهاية القرن العشرين تشهد عودة ظاهرة السطو البحري ... أو عودة «القرصان»!

ومرة أخرى أُضيء جانبٌ من الخريطة ... هذه المرة في المنطقة المحيطة بشمال غرب أوروبا، وأخذت المؤشرات تحيط بمِنطقة معينة في بحر الشمال ... وقال رقم «صفر»: لقد وقعت في هذه المنطقة أعمال لا تحمل سوى صنعة القرصنة ... فقد تم السطو على عدة سفن، واستولى القراصنة على شحنات هذه السفن!

وصمت رقم «صفر» ثم مضى يقول: وهناك ملاحظتان هامتان حول هذا السطو البحري ... الأولى: «أن من يقومون به يستخدمون سفينة حربية شديدة السرعة، ومجهزة بآخر المخترعات البحرية، سواء في مجال الهندسة البحرية، من رادارات وغيرها، أو نوعية التسليح.»

الملاحظة الثانية: «أنهم لا يسطون إلَّا على نوعٍ معينٍ من البضائع ... المواد الذرية فقط، المواد المُشعَّة ... وهي موادُّ غاليةُ الثمن.»

كان الشياطين يستمعون باهتمامٍ بالغٍ، وكان السؤال الذي يفكرون فيه هو: «ما دخل الشياطين الـ «١٣» في هذا الموضوع؟ فهذا كلُّه لا يخص البلاد العربية!»

وقد جاء الجواب سريعًا ... قال رقم «صفر»: وبالطبع فإننا لا نتدخل في أعمال لا تَمَسُّ مصالحنا ... ولكن في الأسبوع الماضي قام هؤلاء القراصنة بالاستيلاء على شحنة من المواد المشعة، كانت مُصدَّرة من أحد موانئ «النرويج» إلى أحد البلاد العربية.

وأكمل رقم «صفر»: وقد أخطرت الدولة العربية بما حدث إلى مختلف أجهزة الأمن ... ووصلني تقرير من الجهات المسئولة، وأصبح من اللازم أن يتدخل الشياطين الـ «١٣» في هذه العملية.

ارتفع صوت «إلهام» يقول: هل هناك معلومات عن طريقة السطو؟

رد رقم «صفر» على الفور: هذا سؤال هام ... والواقع أن القرصان الجديد يستخدم — كما قلتُ لكم — أحدثَ الوسائل العلمية في عمليات السطو ... فحسب الروايات التي حصلت عليها أجهزة الأمن، فإن سفينة القرصان تظهر في الضباب — وكما نعرف فإن منطقة بحر الشمال تكاد تكون منطقة ضباب كامل — فتطلق سفينة القرصان حولها سحابة من الدخان تختفي فيها، ثم تظهر فجأة من قلب الضباب وتنقضُّ على سفن الشحن، وتستولي على شحناتها، ثم تختفي في الضباب مرة أخرى ...

زبيدة: ونوع السفينة؟

رقم «صفر»: إنها مدمرة، ولكن يبدو أنهم ركَّبوا عليها محركات بارجة ... بالضبط كما تركب موتور سيارة سباق على سيارة عادية ... إن سرعتها غير معقولة بالنسبة لحجمها!

عثمان: ينتج عن هذا أن لا أحد يستطيع مطاردتها.

رقم «صفر»: مطلقًا ... إنها تظهر بسرعة، وتضرب ضربتها ثم تختفي في الضباب مرة أخرى.

وأضاف رقم «صفر»: ستكون عندكم معلومات عن أسلوب السطو، وطريقة الظهور والاختفاء، والأماكن التي يمكن فيها السطو، واحتمالات حدوث حوادث سطو أخرى.

أحمد: هل وضعت يا سيدي خطة للعمل؟

رقم «صفر»: نعم ... هناك خطة ... قد تكون فيها مخاطر كثيرة، ولكن لا بديل لها.

وقال «خالد»: ولكن هذه السفينة تحتاج إلى ميناء ترسو فيه وتتزود بالوقود والمؤن. كيف لم يتم اكتشاف هذا الميناء حتى الآن؟

رقم «صفر»: معك حق ... وهناك احتمالان لا ثالث لهما ... الأول أن تكون هذه المدمرة، مدمرة القرصان، تحمل أعلام دولة ما، فتدخل تحت اسمها إلى الموانئ المختلفة، أو أن لها ميناء خاصًّا بها في مكان مجهول.

أحمد: وقد تجمع بين الاحتمالين ... أن تحمل أعلام دولة تدخل تحتها إلى موانئ العالم ... وأن يكون لها ميناء خاص في نفس الوقت.

رقم «صفر»: إنه جمع بين احتمالين ... ولا بأس به.

ريما: هل لهذا علاقة بكوننا نتمرن على مختلف فنون السباحة والغوص منذ أسبوع؟

رقم «صفر»: تمامًا يا رقم «١٠» ... وفي الأيام الثلاثة القادمة ستتسلمون أسلحة أُعِدَّت خصوصًا للاستخدام تحت الماء، وتدريبات خاصة على اكتشاف المواد المشعَّة بواسطة ساعات تبدو عادية، ولكن عقاربها تتحرك بطريقة خاصة عند الاقتراب من أي موادَّ مشعة.

ساد الصمت لحظات، ثم قال رقم «صفر»: هل هناك أسئلة أخرى؟

ولَمَّا لم يتلقَّ إجابةً أضاف: ستكون الخطة جاهزة خلال ثلاثة أيام ... في اليوم الرابع تبدءون مهمتكم.

لا مساعدة من أحد!

قضى الشياطين الـ «١٣» الأيام الثلاثة الباقية في تدريبات عنيفة ... وكانت حمامات السباحة الكبيرة في المقر السري تتحول إلى جبال من الأمواج، بواسطة محركات خاصة، حتى يتمرن الشياطين على مواجهة ثَوْراتِ البحر ... كما كانت درجة الحرارة منخفضة في هذه الحمَّامات، إلى درجة التجمُّد.

وفي صباح اليوم الرابع كان الاجتماع لمناقشة الخطة، وكان الشياطين قد وصلوا إلى درجة رائعة من الاستعداد ... وعندما تحدَّث إليهم رقم «صفر» عن الخُطَّة، بدأ حديثَه بالثناء على درجة الاستعداد التي وصلوا إليها ... ثم قال: إن الخُطة ستقوم على إرسال سفينةٍ محملةٍ بموادَّ مشعةٍ خلال المنطقة التي تعمل فيها سفينة «القرصان»؟

هز الشياطين رءوسهم، فسوف تقع هذه السفينة في يد القرصان طبعًا ... وسرعان ما كان رقم «صفر» يؤكد هذه الحقيقة قائلًا: وبالطبع فسوف تقع السفينة في يد «القرصان».

ومضى رقم «صفر» يقول: سيكون هناك عدد من الشياطين على السفينة في ثياب البحارة، والعدد المطلوب خمسة ... وفي سفينة أخرى تسير في خط موازٍ للسفينة الأولى، سيكون هناك خمسة شياطين آخرين ... وعندما تظهر سفينة «القرصان» فعلى شياطين السفينة الأولى الاتصال بشياطين السفينة الثانية، وإخطارهم بكل ما يحدث على ظهر السفينة الأولى ... وربما تفضل المجموعة الثانية أن تكون في ميناء قريب.

وصمَتَ رقم «صفر» لحظات، ثم قال: ستكون معكم أجهزة متطورة للاتصال اللاسلكي، لتحديد موقع سفينة «القرصان» واتجاهها.

المطلوب من واحد أو أكثر من الشياطين التسلل إلى سفينة «القرصان»، وهذا هو الجزء الخطر من العملية، والمطلوب أن تدرسوا هذا الجزء باهتمامٍ ودقةٍ ... هل يتم التسلل

ساعة الالتحام، أم يتم بالتسلق إلى سفينة «القرصان» من المياه، أم في قاربٍ صغيرٍ يتبع السفينة فترة من الوقت؟

ومضت لحظات، ثم قال رقم صفر: إن رجالنا في قسم العمليات الخاصة يدرسون الآن إمكانيات هذه العملية ... وعلى المجموعة المسافرة أن تعقد اجتماعًا معهم، فهناك عشرات التفاصيل التي لا بد من درسها قبل العملية.

وتنهَّد رقم «صفر» وقال: والآن ... الأسئلة.

انطلق سؤال على الفور من فم «زبيدة»، فقالت: ما هو المطلوب بالضبط؟

رد رقم «صفر»: المطلوب هو القضاء على عصابة قرصان البحر، أو على الأقل كشف ومعرفة المكان الذي تأوي إليه سفينته، حتى يمكن اتخاذ إجراء أولي ضدها.

عثمان: هل ننتظر مساعدة من جهات أخرى؟

رقم «صفر»: لا ...

أحمد: في حالة عدم ظهور سفينة «القرصان» ... ماذا نفعل؟

مضت لحظات قبل أن يرد رقم «صفر»، ثم قال: لقد سرَّبنا أخبارًا يَسيل لها لُعاب «عصابة القرصان» ... قلنا إن الشحنة ضخمة وتساوي ملايين الجنيهات، وحددنا نوع السفينة، وجهة إبحارها، بحيث تغري القراصنة بالهجوم.

خالد: هل باعت عصابة القرصان كمية المواد المشعة التي حصلت عليها في الأسبوع الماضي؟

رقم «صفر»: حتى الآن لم تعرض صفقة من هذا النوع في العالم ... ولكن يجب أن تتوقع ألا تكون هذه الصفقات علنية، إن أغلبها يتم في الخفاء ... فهي أولًا موادُّ ذريَّةٌ ممنوع تداولُها إلا بين الدول ... وثانيًا موادُّ مسروقة.

خالد: هذا يعني أن من الممكن العثور على هذه الكمية في حوزة العصابة؟

رقم «صفر»: نعم ... وستكون ضربة حظٍّ موفقة إذا عثرتم عليها، ولهذا فقد أعددنا لكم — كما قلت سابقًا — ساعات من نوع معين للكشف عن أي موادَّ مشعة.

ولم ترد أسئلة أخرى. فقال رقم «صفر»: الليلة تعقدون اجتماعًا مع رجال العمليات الخاصة، وغدًا السفر ... وستكون عندكم جميع تفاصيل الحركة في مظروفات مغلقة، تُحرق بعد قراءتها.

وغادر رقم «صفر» قاعة الاجتماعات ... ووقف الشياطين يتحدثون معًا، ثم غادروا القاعة أيضًا.

في صباح اليوم التالي كان الشياطين على استعداد للسفر ... عقدوا الاجتماع الهام مع رجال العمليات الخاصة وتسلموا الأسلحة المجهزة خصوصًا للصراع القادم، والأجهزة اللاسلكية، والعدادات الصغيرة المركبة في ساعات عادية بريئة المظهر.

وانقسم الشياطين إلى قسمين ... القسم الأول الذي سيركب السفينة الأولى، ويتكون من «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«فهد» و«قيس» ... والقسم الثاني الذي سيذهب إلى الميناء القريب، وتكوَّن من «إلهام» و«هدى» و«ريما» و«باسم» و«رشيد».

وعقد العشرة اجتماعًا قصيرًا في الصباح الباكر، على مائدة الإفطار، لتنسيق خطوات العمل، ثم بدأت السيارات الحمراء تنطلق مع شمس الصباح الباكر، في طريقها إلى أقرب مطار من المقر السري للشياطين الـ «١٣».

وفي مساء هذا اليوم كانت المجموعة الأولى قد وصلت إلى «برجن» ... الميناء النرويجي الكبير ... وكان عليهم أن يقضوا فيها يومًا قبل أن تصل السفينة «وايت إيجل» التي سيستقلونها، وكان مع «أحمد» رسالة من رقم «صفر»، لا تفتح إلا بعد ركوب «الوايت إيجل» ... ونزلوا في فندق الشاطئ، وعندما اجتمعوا في المساء، قال «أحمد»: عندي خُطة بسيطة سأتحمَّل مسئوليتها وحدي ... إن وقوع مجموعة سرقات المواد المشعة في هذه المنطقة لا بد أن تكون مثار أحاديث الناس هنا ... وأتصور أن من الممكن الحصول على المعلومات الإضافية التي قد تنفعنا في هذه المغامرة المحفوفة بالمخاطر ... وبالطبع فإن هذه المعلومات ستتردد في الأماكن التي يغشاها بحارة السفن ... لهذا أقترح أن ننقسم إلى قسمين، وأن نقضي المساء وجزءًا من الليل في محاولة التعرف على شيء جديد وحتى إذا لم نحصل على أية معلومات فإن «برجن» مدينة جديدة علينا، ولا بأس أن نعرف شيئًا عنها، أكثر مما عرفناه من الكتب.

وتقرر أن يذهب «أحمد» و«عثمان» معًا، و«فهد» و«قيس» معًا، وأن يبقى «بو عمير» في الفندق، فقد يحدث اتصال مع المجموعة الثانية، التي لا بد أن تكون قد وصلت إلى ميناء «وبك»، في شمال إنجلترا. وبينما تمدد «بو عمير» في فراشه، ارتدى «أحمد» و«عثمان» ملابس ثقيلة كملابس البحارة، وانطلقا في تاكسي إلى الميناء.

رغم برودة الجو كان ميناء «برجن» يعجُّ بالحركة، وكانت المقاهي المقفلة تستقبل روادها ... وأعجب «عثمان» بِاسْم أحد المقاهي، كان اسمه «السمكة التي أفلتت» ... وقال لـ «أحمد»: بما أننا نقوم بجولة عشوائية، فدعنا ندخل هذا المقهى.

واجتازا الباب الدوار إلى داخل المقهى ... كان مزدحمًا بالبحارة ورائحة التبغ، وأصوات المتحدثين، وعثر «أحمد» بالصدفة على مائدة في وسط المقهى، وجلس الشيطانان.

كانت بجوارهما مجموعة من البحارة يتحدثون بأصوات مرتفعة، عن رحلاتهم في البحر ... كانت أحاديث عادية مما يتحدث به البحارة، في كل ميناء ... وعندما جاء الشاي الساخن قال «عثمان»: آسف لاختياري، إننا لم نسمع شيئًا هامًّا.

أحمد: مَن يدري؟ أنت لا تبحث عن شيءٍ معين، إننا جئنا فقط لنستمع.

ومضى بعض الوقت، وما إن وضع «أحمد» يده في جيبه ليدفع الحساب، حتى سمِع أحدَ الجالسين يقول: إن «جانسن» لم يظهر منذ يومين!

قال بحار آخر: إنه بلا شك مُلقًى في مكان ما ... لقد أصبح كالمجنون بما يرويه من حوادث غريبة عن ميناء الضباب.

لفتت كلمتا «ميناء الضباب» سَمْعَ «أحمد»، فمضى يستمع هو و«عثمان»، عندما قال الرجل الأول: المدهش أنني سمعت أن بعض الأشخاص يبحثون عن «جانسن»!

الثاني: لعلهم من هواة الاستماع إلى الخرافات!

قال ثالث: إن الأشخاص الذين يبحثون عن «جانسن» موجودون هنا! ويبدو أنهم في انتظاره.

الأول: أين هم؟

الثالث: إنهم الثلاثة الذين يجلسون قريبًا من الباب ... إنهم يأتون كل يوم ويسألون عنه.

ضحك الثاني وقال: إنهم لا يعرفون «جانسن»، هو يظهر ويختفي دون أن يعرف أحد أنه ...

وفجأة توقف الرجل عن الحديث، ونظر إلى الباب وقد بدت في عينيه نظرة دهشة، ثم قال: تصور ... إنه «جانسن»!

رجل عجوز مخرف!

التفت «أحمد» و«عثمان» حيث أشار الرجل، وشاهدا الداخل ... كان رجلًا قصيرًا سمينًا، يتدحرج في مشيته، ضخم الرأس، واللحية، قد اختلط البياض والسواد في شعره، واتسخت ملابسه، وتورمت عيناه ... وكانت له نظرات زائغة، دخل يترنَّح ... وسرعان ما كان الرجال الثلاثة الجالسون قرب الباب يقفون، ويتحركون خلفه.

شاهد الرجل «أحمد» واقفًا، والنقود في يده فعرف أنه سيغادر المكان، فلم يتردد، واتجه إلى المائدة وجلس مكان «أحمد»، وقال بصوت أجش: إنني جائع وعطشان، ومُفلِس ... من الذي سيدفع لي الحساب؟

رد «عثمان» على الفور: فليكن عشاؤك على حسابي.

الرجل: إنك شاب طيب، ولكنك غريب عن المكان ... فماذا تفعل هنا؟

قال «عثمان»: في انتظار باخرة سوف أسافر عليها.

ضاقت عينا «جانسن» وهو يقول: ألا تخاف أن تركب بحر الشمال ... إنه بحر مجنون. ضحك الجالسون الذين كانوا على المائدة المجاورة ... كانوا يستمعون بشغف إلى حديث «جانسن»، وفي نفس الوقت كان الرجال الثلاثة الذين تبعوه يقفون على مقربة، كانوا يتظاهرون بالحديث معًا، ولكن «أحمد» و«عثمان» أدركا أنهما كانا يستمعان إلى ما يدور بين «جانسن» و«عثمان».

قال «عثمان»: سنمر مرورًا سريعًا في بحر الشمال، فنحن ذاهبان إلى «لندن».

جانسن: ألم تسمع عن قلعة الضباب؟ ألم يقل لك أحد إن «جانسن» هذا الذي يتحدث إليك يعرف مكانها ... إن الناس لا تصدقني، لقد ظنوا أنني كبرتُ وخرِفْت، ولكن أنا «جانسن»، البحار العجوز أقول لك إن بحر الشمال بحر مجنون!

تدخَّل أحد الثلاثة الواقفين وقال لـ «جانسن»: لقد سمعت قصتك يا سيدي ... وإنني أصدقك.

ضحك «جانسن» وهو يتناول شرابه، وصاح: هذا هو رجل عاقل، إنه يصدقني ... دعني أصافحك أيها السيد.

قال الرجل: لماذا لا تأتي معي ... إنني أريد أن أسمع قصتك كلها بعيدًا عن هذه الضجة.

زاد ضحك «جانسن» قائلًا: لعلك مخرج سينمائي أو كاتب روائي!

قال الرجل: إنك شديد الذكاء أيها البحار ... إنني مخرج سينمائي فعلًا، وإذا أتيت معي فسوف نذهب إلى الاستوديو لتروي قصتك، وسوف يعرضها التليفزيون.

ظهر الجشع على وجه «جانسن» وهو يقول: وسوف تدفع لي ... إنني لست نجمًا سينمائيًّا، ولكن الناس سوف يهتمون بقصتي.

قال الرجل: بالطبع سوف أدفع لك ... إن وقتك له ثمن.

جانسن: إذن سوف آتي معك ... فقط دعني أكمل عشائي الذي سيدفع ثمنه هذا الشاب الكريم.

كان «أحمد» و«عثمان» والجالسون جميعًا يتابعون الحوار، ولم يشك «أحمد» و«عثمان» أن الرجل يضحك من «جانسن»، وأنه لا علاقة له بالسينما أو التليفزيون، إنه فخ لاصطياد «جانسن»، ولا بد أن ما يعرفه يهم الرجال الثلاثة.

انهمك «جانسن» في الطعام، بينما أخذ بقية الناس يتناقشون في أعمالهم، وانتهى «جانسن» سريعًا ... وكان «أحمد» و«عثمان» يتبادلان النظرات، وقد تفاهما على كل شيء ... ولم يكد «جانسن» ينتهي من طعامه حتى دفع «عثمان» الحساب، وقال «جانسن»: شكرًا لك أيها الشاب ستشاهدني على شاشة التليفزيون وستسمع القصة كاملة.

أومأ «عثمان» برأسه موافقًا ... وانطلق «جانسن» مع الرجال الثلاثة، وخلفهم من بعيد انطلق «أحمد» و«عثمان».

خرج الجميع إلى ظلام الليل والبرد، وكانت رائحة البحر تملأ الأنوف ... وركب الرجال الأربعة سيارة، وتبعهم «أحمد» و«عثمان» في سيارة أخرى.

انطلقت السيارة الأولى وكانت من طراز «فولفو» وخلفها سيارة «أحمد» و«عثمان» وكانت من نفس الطراز ... وقال «أحمد» وهو يقود السيارة: إنهم لن يدخلوا إلى المدينة، فهم يسيرون بجوار الشاطئ.

عثمان: هل تتوقع أن يقتلوه؟

أحمد: في الغالب نعم ... ولكنهم سوف يستمعون إلى قصته أولًا، لأنهم بالطبع يريدون أن يعرفوا ماذا يعرف الرجل عنهم. ومن المؤكد أنها معلومات هامة، وإلا ما غامروا بالظهور أمام الناس بهذا الشكل.

أخذت السيارتان تبتعدان عن الأماكن المطروقة، وتكاثف الظلام وكانت السيارة الأولى تسير في شوارع قديمة موحشة، بعد امتداد الميناء. وعرف «أحمد» أنهم سيلاحظون أنه يتبعهم، فغامر بإطفاء نور السيارة، وأخذ يقودها بحذرٍ شديدٍ، مسترشدًا بضوء السيارة الأولى.

دارت السيارة بعيدًا عن الميناء، وتوغلت في منطقة مظلمة، امتلأت ببقايا المخازن القديمة والأسوار المنهارة، ثم توقفت أمام أحد المخازن المهجورة ... وأسرع «أحمد» بإيقاف السيارة بعيدًا، ثم نزل هو و«عثمان»، وأخذا يتقدمان في الظلام مسرعَيْن، تحت ستار الجدران القديمة حتى اقتربا من المخزن، وشاهدا بطارية مضاءة، وصوت الرجال يتحدثون، فاقتربا حتى أصبحا في إمكانهما سماع ما يدور من الأحاديث، كان «جانسن» يصيح بانفعال: ماذا تفعلون بي هنا ... إن هذا المكان لا يمكن أن يكون استديو للتليفزيون!

قال أحد الرجال: لا ترفع صوتك أيها العجوز المُخرِّف لا بد أن نسمع قصتك أولًا، لنعرف إذا كانت تصلح للتسجيل أم لا.

جانسن: لماذا لم تسمعوها في المقهى؟

ضحك أحد الرجال وقال: إننا نريد أن نسمع القصة في عرض خاص.

أخذ «أحمد» و«عثمان» يتحركان بحذر شديد، حتى تمكنا من العثور على فتحة في الجدار، تسمح لهما بمشاهدة ما يحدث، كانت هناك مجموعة من المقاعد القديمة المكسرة ومكتب بثلاثة أرجل، وكان رجلان من الثلاثة يقومان بإعداد بعض المقاعد للجلوس، وقد أضاء الثالث بطارية قوية تكشف ما في المكان ... أما «جانسن» فقد كان يقف ساكنًا يرقب ما حوله في ذهول.

انتهى الرجلان من إعداد المكان، وأجلسوا «جانسن» في مقعد وأحاطوا به ... وقال أحدهم: والآن قل لنا الحكاية!

جانسن: إنني لن أقول شيئًا ... إنكم غررتم بي.

تقدَّم أحد الرجال ولطم «جانسن» لطمةً قويةً على وجهه، وقال بقسوة: تحدث أيها الأبله، إننا لم نأتِ هنا لنتبادل الأحاديث الودية، ونسمع اعتذارك عن الحديث ... هيا!

صاح «جانسن»: أنتم تضربونني! سوف أبلغ الشرطة ... إننا في بلد ديمقراطي، ومن حقي أن أطلب الحماية.

تقدَّم الرجل مرة أخرى ورفع يده، فانكمش «جانسن» في مقعده ... وصاح الرجل: لا تُضيِّع وقتنا أيها الأبله ... إن وراءنا مشاكل أهم من حديثك.

وضح على وجه «جانسن» أنه لن يستطيع المقاومة أكثر، وأخذ يمسح فمه بظاهر يده ثم قال: ماذا تريدون أن تسمعوا؟

قال أحد الرجال: أغنية من أغاني الربيع!

صاح أطول الثلاثة: ليس هذا وقت الهزار يا «كلوندنج»، إن السفينة في انتظارنا ... ولولا الخوف من لفت الأنظار إلينا لأخذناه معنا.

ثم التفت إلى «جانسن» وصاح: هيا ... قل لنا ما كنت تردده في المقاهي عن قلعة الضباب وما رأيته هناك.

بلل «جانسن» شفتيه بلسانه ثم قال: حدث ذلك منذ شهرين تقريبًا ... كنت قد خرجت في قارب صيد مع بعض الزملاء في محاولة للصيد، ولكن الجو فاجأنا، واستطاعت العاصفة أن تقلب القارب وسقطنا جميعًا في الماء ... ولحسن الحظ كانت هناك سفينة مارة استطاعت التقاط الجميع، ولكن العاصفة طوحت بي بعيدًا، وكنت أصرخ كي ينتشلوني، ولكن صوتي ضاع في العاصفة.

وعاد «جانسن» إلى لَعْق شفتيه، ثم قال: ووجدت نفسي بعيدًا وقد أخذتْ أنوارُ السفينة تختفي في الظلام، فاستسلمت لمصيري، وأخذت أتذكر ما أعرفه عن بحر الشمال، وعرفت أنني لست بعيدًا عن جزر «شتلند».

تبادل الرجال الثلاثة النظرات، وضغط «عثمان» على ذراع «أحمد» فقد بدا واضحًا أن الرجال الثلاثة يقدرون أهمية ما يقوله «جانسن» العجوز.

ومضى «جانسن» يقول: وأخذت أسبح بقدر ما أستطيع، ولحسن الحظ سكنت العاصفة بعد قليل، وانبلج ضوء الفجر ... وكان تقديري صحيحًا، فقد كانت جزر «شتلند» على مسافة قريبة مني ... وأخذت أسبح ولكن عندما أخذت أقترب من الشاطئ ازدادت قوة التيارات وجذبتني بعيدًا ... وكانت قواي قد خارت تمامًا فتركت نفسي للتيارات، تحملني حيث تشاء ... وبعد نحو ساعتين وجدت نفسي قريبًا من جزيرة صغيرة تائهة في بحر الشمال ... وعلى هذه الجزيرة المهجورة شاهدت أغرب منظر في حياتي.

المأزق!

أخذ الرجال الثلاثة ينظرون إليه في توجس ووحشية ... وأنصت «أحمد» و«عثمان»، ومضى «جانسن» يقول: شاهدت أسوارًا عالية من الجرانيت، وقد أُقيم منها ميناء عظيم، ووقفت فيه سفينة ضخمة تُطِلُّ الصواريخ والمدافع من أبراجها.

وأخذ «جانسن» يلتقط أنفاسه، ومضى يقول: لم أصدِّقْ عيني! فمن المستحيل أن يوجد في هذا الجزء المهجور من المحيط مثل هذا الميناء ... إنني أعمل في البحر منذ خمسين عامًا، وعملت في الأسطول النرويجي، وخضت الحرب ولم أسمع مطلقًا عن هذه الجزيرة!

قال أحد الرجال: وماذا حدث بعد ذلك؟

قال «جانسن»: أخذت أتحرك بصعوبة حتى وصلت إلى شاطئ الجزيرة، واستسلمت للنوم. ولما استيقظت أخذت أسير على شاطئ الجزيرة دون أن أدري ماذا أفعل، كنت متعبًا وجائعًا، ولكني كنت خائفًا في نفس الوقت ... ولم أقابل أحدًا ... ثم فجأة وجدت أمامي قاربًا في المياه، مجهزًا بكل أدوات الإبحار، فلم أتردد وركبته، ثم بحثت فوجدت فيه كل ما أريده من طعام وماء، فأكلت حتى شبعت، ثم أدرت القارب وأخذت أبتعد عن الجزيرة.

وكانت المفاجأة الثالثة في ذلك اليوم أن شاهدت الجزيرة وهي قريبة مني جدًّا ... تختفي كأنها لم تكن ... نعم ... لقد أحيطت تدريجيًّا بسحابة من الضباب ... واختفت ... وظننت أنني أحلم ... لولا القارب والطعام لكان من المؤكد أنه حلم!

عاد الرجل يسأل: وماذا بعد ذلك؟

رد «جانسن»: لاحظت بعد فترة، أن قاربًا مسلحًا قد غادر الضباب، وأخذ يبحث بالأضواء على سطح المحيط، وكان الليل قد هبط ... وأحسست أن من في القارب يبحثون عني، وأنني معرض لخطر جسيم ... وهكذا وبحكم خبرتي الطويلة بالبحر، اتجهت شرقًا ناحية شواطئ جزر «شتلند»، وخدمني التيار فابتعدت سريعًا، ولكن رغمَ مُضِيِّ

ثلاثِ ساعات، فوجئتُ بأن القارب الكبير قد أخذ يقترب مني، وأخذت الأضواء تحاصرني ثم أطلقوا مدفعًا للإنذار ... ولم أتردد، فألقيت بنفسي في المياه، وتركت القارب ... وسرعان ما أصابوه بالطلقة الثانية وأصبح حُطامًا.

وأخذ «جانسن» يلعق شفتيه، فقال الرجل: أكمل قصتك أيها العجوز المخرف.

مضى «جانسن» على الفور يقول: واستطعت بعد جهدٍ كبيرٍ أن أصل إلى جزر «شتلند» ... وبعض الناس هناك يعرفونني، وأخذت أقصُّ عليهم ما حدث لي، ولكن أحدًا لم يصدق «جانسن» العجوز ... وكل ما فعلوه لي أنهم أعادوني إلى «برجن».

قال الرجل: وأخذت تقص تخاريفك على كل من يصادفك.

جانسن: أؤكد لك يا سيدي أن كل ما قلته لك صحيح ... إنني تجاوزت السبعين من عمري، ولكن عقلي ما زال قويًّا.

هز الرجل رأسه وقال: وهذه هي المشكلة.

جانسن: أي مشكلة يا سيدي؟!

رد الرجل: المشكلة أن ما قلته صحيح يا «جانسن» ... ومن حسن الحظ أن الناس لم تصدقك، وإلا تعرضنا لمتاعب ضخمة.

جانسن: إنني لا أفهم يا سيدي!

الرجل: ليس مهمًّا أن تفهم.

جانسن: إنني رجل عجوز أيها السيد ... سوف أموت قريبًا، فدعني أعود إلى كوخي الصغير!

الرجل: كيف عرفت أنك ستموت قريبًا؟

جانسن: ألست رجلًا عجوزًا؟

الرجل: ولكنك لن تموت بالشيخوخة يا «جانسن». حدث شيء غير متوقع في هذه اللحظة ... فقد أدرك «جانسن» العجوز ما سيحدث له، وقرر ألا يستسلم ... وبسرعة وببراعة لا تتناسبان مع عمره وشكله، سحب الكرسي من تحته، ثم قذفه بسرعة في وجه الرجل الذي يمسك بالبطارية ... وساد الظلام، وارتفعت اللعنات وسمع «أحمد» و«عثمان» صوت الأقدام وهي تجري وتتعثر في ظلام المخزن الكبير ... ثم انطلقت بضع رصاصات، وسمعوا صوت سقوط جسم على الأرض، ثم أضيئت بطارية ثانية.

وفي نفس الوقت ارتفع في السكون الذي أعقب المعركة صوتُ سيارة تقترب من المخزن ثم تقف ... وأدرك «أحمد» و«عثمان» أنهما في خطر شديد، فسوف يكشف القادمون المكان

الذي يقفان فيه خارج المخزن ... وبسرعة زحفا مبتعدين ... توقفت السيارة ونزل منها رجلان، أسرعا إلى المخزن ... وسمع «أحمد» و«عثمان» صوت رجال يتحدثون، ثم دار محرك السيارة الأولى، ثم الثانية، وأخذتا تبتعدان، قبل أن يتمكن «أحمد» أو «عثمان» من اللحاق بهما.

قال «عثمان»: لقد انتهى «جانسن».

أحمد: سنبحث عنه ... لعله لم يمت بعد ونستطيع إنقاذه.

وأسرعا إلى داخل المخزن، انطلق شعاع من بطارية «عثمان»، وسرعان ما عثرا على «جانسن» ملقى على الأرض، في طرف المخزن ... وانحنى «عثمان» عليه، بينما أرهفَ «أحمد» السمعَ، ثم قال: «عثمان»! ... سيارة شرطة مقبلة!

ووقف «عثمان» على الفور، وقد أدرك أنهما في مأزق ... فلو عثر عليهما رجال الشرطة في هذا المكان مع «جانسن»، لما أمكنهما الدفاع عن نفسيهما.

وقال «أحمد»: هيا سريعًا!

وأسرعا يخرجان من المخزن، بينما سيارة الشرطة تقترب، وقد ارتفع منها صوت «السارينة» وانطلقت كشافاتها تكشف المكان.

سقط شعاع من سيارة الشرطة على سيارة «أحمد» و«عثمان»، وتوقف رجال الشرطة عندها، ونزل ثلاثة منهم بينما بقي الرابع في السيارة، وأخذ الرجال يطوفون حول السيارة، ثم اتجهوا إلى المخزن، ودخلوا ... وبعد لحظات سمع «أحمد» و«عثمان» أصواتًا مرتفعة، ثم ظهر أحد رجال الشرطة، وأسرع إلى السيارة وأخذ يتحدث في اللاسلكي.

كان الموقف حرجًا ... هناك جريمة قتل، وسيارة «أحمد» و«عثمان» التي استأجراها ... وهما مختبئان ... وسوف تنقلب «برجن» كلها ضدهما، وسوف يتعرضان لمتاعب لا حدَّ لها.

كان في إمكانهما أن يسلما نفسيهما لرجال الشرطة ويشرحا كل شيء ... ولكن المشكلة كانت أنهما لن يضمنا أن يتركهما رجال الشرطة بعد ذلك، على الأقل لمدة يوم أو يومين، لحين التحقق من صحة أقوالهما، أو العثور على القتلة الحقيقيين ... وستأتي السفينة التي سيبحران عليها «الوايت إيجل»، فإذا لم يركبا في الموعد المناسب، فسوف تنهار خطة رقم «صفر» كلها.

لم يكن أمامهما إلا الهرب ... فأخذا يسيران بهدوءٍ وحذرٍ مبتعدين عن المكان ... كانت المسافة طويلة بينهما وبين المدينة، ولكن لم يكن هناك بدٌّ من السير ... واستمرا يسيران

حتى مضت أكثر من ساعة قبل أن يعثرا على تاكسي يركبانه، ثم طلبا منه التوجه إلى قلب المدينة ... وبعيدًا عن الفندق نزلا، وأسرعا إلى هناك.

كان «بو عمير» و«فهد» و«قيس» هناك ... وما كادا يدخلان حتى صاح «بو عمير»: أين أنتما؟!

رد «عثمان»: إن الأمور تطورت تطورًا سيئًا.

بو عمير: كيف؟!

رد «عثمان»: إننا متهمان بالقتل.

ساد الصمت بعد هذه الجملة، ثم قال «بو عمير»: كيف حدث هذا؟!

أخذ «عثمان» يروي لهما ما حدث، بينما استغرق «أحمد» في تفكيرٍ عميقٍ، وعندما انتهى «عثمان» من روايته، قال «بو عمير»: يجب أن نغيِّر مكاننا فورًا ... فسوف يبحث رجال الشرطة عن مكتب تأجير السيارات، وسوف يُعثَر عليكما سريعًا ...

أحمد: معك حق ... هيا بنا ...

نزل الخمسة مسرعين ... تركوا ثيابهم، ولم يأخذوا معهم سوى الأدوات والأسلحة التي سيحتاجون إليها على السفينة ... ولم يبتعدوا عن الفندق بأكثر من خطوات قليلة، حتى شاهدوا سيارة الشرطة وقد وقفت أمام الفندق، ونزل منها مجموعة من الضباط ... أدركوا أن المطاردة قد بدأت، وأن عليهم أن يجدوا وسيلة يقضون بها هذا الليل البارد، قبل أن تأتي السفينة في الفجر ... وأخذوا يبتعدون مسرعين ... دون أن يعرفوا إلى أين يذهبون.

تعديل في خطة رقم «صفر»!

ابتعد الشياطين الخمسة، دون أن يعرفوا إلى أين سيتجهون ... كان في إمكان «بو عمير» و«فهد» و«قيس» العودة إلى الفندق، ولكن كان هناك احتمال استجوابهم بواسطة رجال الشرطة، ما دام الخمسة ينزلون معًا ... وكان القرار الوحيد الصحيح، هو الاختفاء حتى ركوب «الوايت إيجل»، التي ستقوم بالتجربة في بحر الشمال.

قال «أحمد» فجأة: في إمكان الشرطة أن يوقفونا عن ركوب السفينة ... فمن المؤكد أنهم سيبلغون المطارات والموانئ، فنحن متهمان بالقتل ... والحل الوحيد هو أن نذهب إلى الميناء الآن، فنأخذ قاربًا ونبتعد به حتى الفجر، وعندما تأتي «الوايت إيجل» نركبها ونرحل، من خارج الميناء.

كان رأيًا معقولًا، بل كان هو الرأي الوحيد ... وهكذا اتجه الجميع إلى الميناء، وأخذوا يتسللون خلال الأرصفة المهجورة، حتى وصلوا إلى مرسًى صغيرٍ قد رُبِط فيه قاربان صغيران ... قاموا بالاتجاه إلى المرسى في شكل مروحة، حتى إذا ظهر أن هناك حراسًا، أو سقط أحدهم استطاع الباقون التصرف ...

ولكن المكان كان خاليًا، فاختاروا أكبر القاربين، وفكُّوه من مربطه، وأخذ «قيس» و«عثمان» مكانهما من المجاديف، وسرعان ما كان القارب الصغير يبتعد عن الميناء تحت جنح الظلام.

كان الجو باردًا، بل شديد البرودة ... وكان الحل الوحيد للتغلب على هذا الجو البارد هو تبادل التجديف، فمع الحركة يأتي الدفء ... وأخذوا يبتعدون عن الميناء وعن الأضواء، حتى لا يلفتوا الأنظار، حتى وصلوا إلى طرف الميناء، حيث توجد مجموعة من الصخور، فربطوا القارب فيها، ووضعوا جدولًا للحراسة، وحاول كل منهم أن ينال قسطًا من الراحة.

كانت المعلومات التي سمعها «أحمد» و«عثمان» من «جانسن» أثناء استجواب الرجال الثلاثة له في المخزن، ذات أهمية كبرى، فقد أكد وجود ميناء خاص لسفينة «القرصان»، ميناء في مكان مجهول، ولكن قريب من جزر «شتلند»، الواقعة غرب «النرويج» وشمال اسكتلندا، فهي في نقطة محصورة بين منطقة مجموعة الشياطين «أ»، التي تضم «أحمد» و«عثمان» و«بو عمير» و«فهد» و«قيس»، وبين مكان مجموعة الشياطين «ب» التي تضم «إلهام» و«هدى» و«ريما» و«باسم» و«رشيد»، والتي اختارت ميناء «وبك» في شمال اسكتلندا مقرًّا لها.

كان «أحمد» يفكر في كل ما حدث ... لقد أصبح عليهم واجبان؛ الأول كشف عصابة «القرصان»، والثاني تسليم قتلة «جانسن» العجوز إلى الشرطة، ومن ثم إسقاط التهمة عنهم ... وكان «أحمد» قد اختار مقدمة القارب، وانكمش داخلها بثيابه الثقيلة محاولًا النوم. ومع اقتراب الفجر اشتد البرد، وبدأ الجميع ينظرون في ساعاتهم، وأخذ «عثمان» ينظر خلال نظارته المكبرة، ثم صاح: سفينة تقترب ... إنها تسير في خط سير «الوايت إيجل»، كالمتفق عليه.

خطف «أحمد» النظارة، وألقى نظرة سريعة ثم قال: إنها «الوايت إيجل» فعلًا. هيا بنا. عملت المجاديف سريعًا في المياه، وأخذوا يقتربون من السفينة البيضاء الرشيقة، التي كانت تتهادى وهي تدخل ميناء «برجن» الكبير.

استطاع الشياطين الخمسة أن يصلوا إلى السفينة قبل أن تدخل الميناء، وصعدوا إلى السطح، وقدموا أوراقهم إلى القبطان، الذي رحَّب بهم كثيرًا.

وطلب «أحمد» من القبطان أن يسمح له بلقاء خاص، وسرعان ما كان الاثنان يجلسان في كابينة القبطان ... كان «أحمد» يأكل وهو يتحدث فقد كان جائعًا ... قال «أحمد» للقبطان: أنت بالطبع تدرك مهمتنا.

قال القبطان «يروف»: نعم ... إن عندي تعليمات من رئاستي أن أكون تحت أمركم.

أحمد: شكرًا لك ... لقد تعرَّضْنا لبعض المتاعب في «برجن»، وللأسف فنحن متهمون في جريمة، نحن أبرياء منها ... لهذا فإننا لا نريد أن نظهر في «برجن» مرة أخرى، لحين إثبات براءتنا.

قال القبطان «يروف»: يجب أن ندخل الميناء للتزود بالوقود ... ولكن عليكم فقط أن تَلْزَموا قُمْراتِكم، ولا أظن أن رجال الشرطة سيصعدون للسفينة لتفتيشها.

أحمد: اتفقنا ... ونحن في حاجة إلى الراحة، فسننام فترة دخول السفينة وتموينها، وعندما تعودون إلى عُرض البحر مرة أخرى ... أيقظونا.

القبطان: اتفقنا.

تناول الشياطين طعامًا ثقيلًا لتعويض الليلة الباردة، ثم أوى كل منهم إلى فراشه، وعندما استيقظوا، كانت السفينة «وايت إيجل» تشق طريقها في بحر الشمال، وقد ارتفعت الأمواج، واشتدت الرياح ... وكان الشياطين الخمسة يتناولون الشاي في صالون الباخرة ويتناقشون، وقد وضع «أحمد» أمامهم تصوراته، فقال: إن عندنا معلومات، وإن كانت غير دقيقة إلا أنها تشير إلى مكان القرصان ... إنه موجود في جزيرة صغيرة قرب جزر «شتلند»، ومما يؤكد صحة هذه المعلومات ما فعله الرجال الثلاثة مع «جانسن»، فلو أن معلوماته غير صحيحة لما اهتموا بتعقبه، وقتله.

وافق بقية الشياطين على هذا الاستنتاج، وقال «أحمد»: وفي هذه الحالة، فإنني أعتقد أن علينا أن نضع خطة معدلة لخطة رقم «صفر»، التي تقوم على فكرة التسلل إلى سفينة «القرصان» ... إننا سوف ننقسم مرة أخرى إلى قسمين ... أحد القسمين سيذهب للبحث عن مأوى «القرصان»، والباقي سينتظرون في السفينة، فإذا ما هاجمهم «القرصان»، فعليهم أن يحاولوا التسلل إلى سفينته ... ومعنى هذا أننا سنقوم بمحاولتين وليس محاولة واحدة.

وصمَتَ «أحمد» لحظات ثم قال: إن معي تعليمات سرية من رقم «صفر»، وأحب أن أقولها لكم ... إن السفينة التي نركبها الآن، ليس عليها أي مواد ذرية.

تركزت أنظار الشياطين الأربعة على «أحمد»، الذي استمر يقول: لم يكن من المعقول أن يضع رقم «صفر» شحنة من المواد الذرية في السفينة، ويقدمها لـ «القرصان» على صينية من الفضة ... إن السفينة محملة بكمية من الرصاص والحديد ... وبها كمية محدودة جدًّا من المواد المشعة، لا تساوي بضع ألوف من الجنيهات.

وصمت «أحمد» لحظات ثم قال: فإذا وقعت السفينة في يد «القرصان» — وسوف تقع طبعًا؛ لأن الخُطة تعتمد على ذلك — فلن يستولي «القرصان» على شيء ذي قيمة.

قيس: قد يتعرض ركابها للانتقام.

أحمد: إنها سفينة شحن، وليس عليها من الركاب سوانا، والبحارة من الرجال الأشداء، الذين اختيروا بعناية، والقبطان «يروف» من ضباط الأمن ... لهذا فلن يُخشى على أحد ... كما أن «القرصان» لن يعرف حقيقة الشحنة، إلا بعد نقلها ... فهي مُغلَّفة بنفس تغليف المواد الذريَّة.

وافق الشياطين على خُطة «أحمد» الذي قال: سوف أنزل أنا و«عثمان» في قارب صغير قرب جزيرة «شتلند» وسنبحث عن جزيرة «القرصان» التي وصفها «جانسن» ... وسنتفق على موعد ومكان معينَيْن نلتقي فيهما.

قيس: وإذا استطعنا التسلل إلى سفينة «القرصان» وبالتالي وصلنا إلى الجزيرة المجهولة ... فما هي الخطة بعد ذلك؟

أحمد: التعليمات ذات شقين ... الأول هو محاولة الاتصال بأقرب دولة إلى الجزيرة، وهي في هذه الحالة «النرويج» أو «اسكتلندا» ... أو الهرب بالمعلومات ... أو نسف سفينة «القرصان» في الميناء.

قيس: لن يتمكن ثلاثة فقط من عمل كل هذا!

أحمد: في هذه الحالة، يمكنكم الاتصال بالشياطين الخمسة، في ميناء «وبك» وسوف يصلون إليكم سريعًا.

بو عمير: أعتقد أن القبطان «يروف» يجب أن يعلم بخُطة اللقاء، فهو أفضل منا في تحديد المكان والزمان للقاء، بحكم مهنته كضابط بحري.

أحمد: تمامًا ... وسوف نعقد اجتماعًا معه.

انفضَّ اجتماع الشياطين قرب العصر، وفي المساء عقدوا اجتماعًا مع القبطان «يروف» واتفقوا على أن تذهب السفينة «وايت إيجل» إلى جزر «شتلند»، عند الطرف الجنوبي منها، بعد ثلاثة أيام من سطو «القرصان» على الشحنة.

وعندما هبط الظلام، اتخذت السفينة «وايت إيجل» مسارها في اتجاه جزيرة «القرصان»، حسب رواية «جانسن»، وعندما اقترب منتصف الليل، قال «أحمد» للقبطان «يروف»: لا تقترب أكثر من ذلك وأعِدَّ لنا القارب.

وبعد نصف ساعة كان القارب يقل «عثمان» و«أحمد» ... وقد أخذا يجدِّفان في الظلام بحثًا عن الجزيرة المجهولة ... جزيرة «القرصان».

مدينة صغيرة في كهف كبير!

حدد القبطان «يروف» و«أحمد» و«عثمان» خط سيرهما في القارب الصغير، بقدر المعلومات التي قالوها له نقلًا عن «جانسن» ... وحملا معهما بعض الخرائط الملاحية، وبوصلة، وطعامًا، وأسلحة ... كان «عثمان» و«أحمد» صديقين، وكل منهما قريب من الآخر، ويفهمه سريعًا، وكانا يدركان أنهما يواجهان الموت معًا هذه المرة، بشكل لم يسبق له مثيل ... فإن اكتشاف وجودهما في القارب قرب الجزيرة لن يكون له جزاء إلا طلقة مدفع، تقضي عليهما في لحظة ... لكن الواجب هو الواجب ... وهكذا أخذا يجدفان سريعًا ... لقد قدَّر القبطان «يروف» المسافة بنحو ثلاثين ميلًا، يمكن أن يقطعاها في ساعتين، أي أنهما يمكن أن يصلا إلى شاطئ الجزيرة قرب الثانية بعد منتصف الليل ... والظلام يناسبهما أكثر، فمن الواضح من حديث «جانسن» أن شواطئ الجزيرة ليست كلها محروسة، وفي إمكانهما التسلل إليها من مكان مناسب.

ظلا يجدفان فترة في الظلام الدامس والبرد القارس، ولم يكن هناك بصيص من نور هنا أو هناك، في هذه المنطقة الموحشة من بحر الشمال ... ولكن تقدير القبطان «يروف» كان دقيقًا، فعندما أشرفت الساعة على الثانية، شاهدا ما يشبه الفنار ... ضوءًا متقطعًا يمسح البحر ويختفي واتجها إليه.

وبعد نصف ساعة، كانا قد اقتربا تمامًا من شاطئ الجزيرة وحسب الأوصاف التي سمعاها من «جانسن»، كان الاحتمال الأكبر أنهما قد عثرا على جزيرة «القرصان».

أخذا يهدئان من سرعة القارب، ويقتربان من الجزيرة في حذر شديد ... وسرعان ما اختارا مكانًا بدا ساكنًا تمامًا، بجوار سور يشبه سور القلعة، واقتربا ثم ربطا القارب في صخرة كبيرة، يمكن أن تخفي القارب، ثم تسللا، بعد أن حملا بعض الأسلحة الخفيفة إلى الشاطئ الأسود.

قال «عثمان» هامسًا: إنني لا أرى المدمرة هنا!

أحمد: هذا يعني أن خطة رقم «صفر» قد نجحت ... فقد تسربت الأنباء إلى «القرصان» عن السفينة «وايت إيجل»، فخرجت المدمرة لتسرق الشحنة.

عثمان: إنها فرصة.

وقبل أن يكمل جملته، سمعا صوتًا يحمله الريح إليهما، فانبطحا على الأرض ... كان صوت شخصين يتحدثان، ولكن لم يكن في الإمكان تبين الكلمات ... وظل الرجلان يقتربان، ثم سمع «أحمد» و«عثمان» صوت كلب ينبح، فأدركا أن هناك حارسين ومعهما كلب ... وخطر لهما معًا أن الكلب سوف يشم رائحتهما سريعًا، عندما يمر بهما الرجلان، وهو لم يستطع شم الرائحة الآن لأنه كان يسير في اتجاه الريح.

ظلا رابضَيْن ... وهمس «أحمد»: تعالَ نعود إلى القارب.

ولكن قبل أن يتحركا، كانا الحارسان قد أصبحا على بعد أمتار منهما ... ويبدو أنهما سارا في طريق مختصر بين الصخور، فوصلا بأسرع مما توقع «أحمد» و«عثمان»، نبح الكلب بشدة، واتجه جريًا إلى حيث مكان «عثمان» و«أحمد»، وانطلق كشافان عاليان في نفس الوقت من يد الحارسين ... وصاح أحدهما: لا تتحركا.

لقد استطاع أن يرى «أحمد» و«عثمان» وهما يقفان ... كان «أحمد» و«عثمان» يفكران بنفس الطريقة ... إن في إمكانهما التغلب على الرجلين، وهكذا انطلقت رصاصتان في وقتٍ واحد، كسرتا الكشافين وساد الظلام ... ولم يطاوع قلب «عثمان» أن يقتل الكلب، الذي انقضَّ عليهما، فاكتفى بضربه بهراوة من الرصاص، ضربة قوية على رأسه، سقط الكلب على إثرها ساكنًا.

أسرع «أحمد» و«عثمان» يقفزان من مكانهما، فقد انطلق سيل من الرصاص ... وفي لحظات كانا قد دارا حول الحارسين، وانقضَّ «أحمد» على الأول من الخلف، فأداره أمامه، ثم وجَّه إليه لكمةً ساحقةً طوَّحت به على الأرض ... بينما كان «عثمان» قد أمسك الآخر من ذراعه، ثم لواه بشدة حتى اضطره إلى الركوع على ركبتيه، ثم تقدَّم «أحمد»، فوضع على فمه شريطًا لاصقًا حتى لا يصرخ. ثم قيَّداه وألقياهما معًا بجوار الصخرة.

تسلقا الصخور، حتى وصلا إلى السور الكبير، الذي يحيط بالنصف الجنوبي من الجزيرة ... وكم كانت دهشتهما أن شاهدا أن السور يحيط بوادٍ عميقٍ من صنع الطبيعة، وفي وسط هذا الوادي، الذي يهبط إلى أسفل نحو ثلاثين مترًا، كانت هناك مدينة صغيرة، قد ظهرت فيها الأنوار الخافتة.

قال «أحمد»: يا لها من مفاجأة!

عثمان: إنها شيء يُذكِّرنا بالمدينة التي عثرنا عليها يومًا في الصحراء الكبرى!

أحمد: نعم ... في مغامرة الرجل الذي سرق الشمس.

عثمان: ماذا ترى؟

أحمد: سننتقل إليها.

ونزلا السلالم الحجرية، وسارا حتى أشرفا على المدينة الصغيرة ... كانت مجموعة من المباني، بعضها بُني بالصخور والبعض بالألومنيوم ... وفي وسطها وقف قصرٌ عظيمٌ يشمخ على ما حوله.

سارا في الظلام عبر الطرقات الضيقة الصامتة ... كان هدفهما القصر ... ففي هذا المكان بالتأكيد يعيش زعيم عصابة «القرصان» ... ولكنهما عندما اقتربا من القصر تمامًا، وجدا أنه محاط بسور من الحديد والأسلاك الشائكة ... وأخرج «أحمد» من جيبه مِفكًّا صغيرًا وضع طرَفه على السور، وسرعان ما أضاءت لمبة صغيرة في مقبض المِفك، وعرف أن السور تسري فيه شحنة كهرباء صاعقة.

أخذا يدوران حول السور المكهرب، فلاحظا أنه ليس هناك حراس ... ويبدو أن العصابة اكتفت بكهربة السور فهم واثقون أن لا أحد سيتسلل إلى الجزيرة المهجورة، التي لا يعرفها أحد ... ولكن هذا الوهم تبدد سريعًا، فعندما مرَّا أمام أحد الأبواب، انفتح الباب فجأة، وكان واضحًا أنهما داسا على شيء أمام الباب يفتحه أوتوماتيكيًّا، وسقط عليهما ضوء قوي ... وقبل أن يتمكَّنا من عمل شيء، ظهرت مجموعة من فوهات المدافع الرشاشة، وسمعا صوتًا يقول: لا تتحركا.

لم يكن في إمكانهما عمل شيء، فوقفا في مكانهما ... وعاد الصوت يقول: اقتربا.

اقتربا من الباب، وظهر رجل في ضوء الفجر الشاحب، وقال بصرامة: من أنتما؟

لم يرد «أحمد» ولا «عثمان»، فقال الرجل: ادخلا.

دخلا من الباب إلى ساحة واسعة، على يمينها ثلاث غرف كبيرة، قادهما الرجل إلى إحداها، ثم أغلق الباب ... ووجدا حارسين مسلحين، قاما بتفتيشهما بسرعة، وجرَّداهما من كل الأسلحة التي يحملانها، عدا الأسلحة السرية الصغيرة المربوطة على السيقان، والتي لا يصل إليها أحد.

قال الرجل: أظن أنهما سيبقيان حتى الصباح.

رد الآخر: الكابتن «مورجان» سيستيقظ بعد قليل ... وكما هي عادته، يجب أن يقوم لرحلات الصيد مبكرًا، ولكن عليه أن يستجوبهما.

رنت كلمتا «الكابتن» «مورجان» في آذان «أحمد» و«عثمان» رنينًا عجيبًا، فالكابتن «مورجان» هو أخطر قرصان ظهر في القرن الماضي ... فما هي علاقة هذا بذاك؟

ودون كلمة أخرى، اقتادهما الحارس إلى غرفة داخلية، تطل على فناء القصر الداخلي، ثم أغلق عليهما الباب ...

كانت غرفة صغيرة بها فراشان وحمام ... وكان «أحمد» و«عثمان» جائعين، فصاحا بالحارس: هل من طعام؟

ردَّ الحارس: شاي وبعض البسكويت فقط.

أحمد: شكرًا لك ... إننا نكاد نهلِك جوعًا.

بعد دقائق، جاء الحارس بالشاي وبالبسكويت ... وفي ثوانٍ قليلة، كان «أحمد» و«عثمان» قد انتهيا من طعامهما الخفيف، ثم استلقيا كلٌّ على فراشه، ووضعا عليهما الأغطية الثقيلة، واستسلما للنوم ... فقد كان أمامهما يوم شاق.

لا يدري «أحمد» و«عثمان» كم ناما، ولكنهما استيقظا على صوت الحارس، وضوء الشمس الضعيف يتسلل من النوافذ ... ودون كلمة واحدة، فتح الباب، ثم أشار لهما بأن يتبعاه.

سارا في الدهليز الطويل إلى فناء القصر، ثم قطعا الفناء، ودخلا من باب جانبي، كانت السُّحب الدكناء تملأ السماء، والجو يُنذر بعاصفةٍ رهيبةٍ ... ولكن القصر من الداخل كان يُشع بالدفء والفخامة.

وأمام أحد الأبواب، قال الحارسُ لحارسٍ آخر: هذان هما الشابان اللذان تسللا إلى الجزيرة، ولقد طلب الكابتن «مورجان» أن يراهما بنفسه.

دق الحارس الباب ودخل، وبعد لحظات عاد وأشار لهما أن يتبعاه، ودخلا إلى غرفة صغيرة قد حفلت بالكتب جلس فيها شاب طويل القامة، مفتول العضلات، قام بفتح باب آخر بجواره، ثم أشار لهما بالدخول، وقال: الكابتن «مورجان» في انتظاركما.

دخل «عثمان» و«أحمد» إلى غرفة واسعة، قد صممت بحيث تشبه كابينة في سفينة شراعية ... وقد علقت على جدرانها أنواع من الأسلحة القديمة، وفي الوسط وقف رجل، عندما شاهداه تسمرا في مكانيهما.

مبارزة ومفاجأة!

كان الرجل الواقف أمامهم صورة طبق الأصل من الكابتن «هنري مورجان»، الذي رددت قصص القراصنة سيرته المهولة ... نفس القوام الضخم، والوجه ذو التقاسيم البارزة، واللحية الحمراء، وخصلات الشعر المتدلية تحت القبعة ... شيء لا يمكن تصوُّره ... وحتى وقفته كانت تُشبه وقفة «مورجان» عند السارية الرئيسية في مركب «القرصان».

وضحك الرجل وقال: إنني من أحفاد «كابتن مورجان» ... «القرصان» المشهور ... الذي ترك القرصنة، وعمل في خدمة جلالة ملكة «إنجلترا»، وحصل على لقب «سير» ... ثم أضاف بعد أن التقط أنفاسه، وأشعل غليونه الكبير: لقد ظنَّ الناس أن عهد «مورجان» قد ولَّى إلى الأبد، ولكني قررتُ أن يعود «مورجان» مرة أخرى.

أحمد: ولكن كيف لم يكتشف أحد هذه الجزيرة حتى الآن؟

مورجان: لسبب بسيط جدًّا، إنها جزيرة ظهرت حديثًا، نتيجة اضطرابات قشرة الأرض في هذه المنطقة ... ونحن نساعد على التمويه بالضباب وغيره، ولحسن الحظ أنها بعيدة عن الخط الملاحي للسفن التجارية ... وفي منطقة يخشى كل قباطنة السفن الاقتراب منها.

عثمان: إنك شديد الثقة بنفسك يا سيدي ... إنك تتحدث إلى غرباء عنك!

ضحك «مورجان» ضحكة مدوية ثم قال: لأن ما تسمعانه الآن، لن يسمعه منكما أحد، فلم يقدر لمخلوق أن دخل هذه الجزيرة وخرج منها ... وإنني أضع أمام ضيوف هذه الجزيرة حلين لا ثالث لهما ... إما أن يعملوا معي أو يموتوا ... ولكما أن تختارا.

عثمان: لا أحد يحب أن يموت.

مورجان: هكذا تعلَّمت ... إنهم جميعًا يفضلون العمل عندي ... فإذا ثبت ولاؤهم عاشوا حياة رائعة، وسافروا إلى أي مكان في العالم يختارون ... فأثبتا ولاءكما.

لم يرد «أحمد» ولا «عثمان» فقال «مورجان»: كيف حضرتما إلى هنا؟ لقد علمت من رجالي أنكما جئتما في قارب.

أحمد: إننا صحفيان، سمعنا عن عمليات القرصنة التي تتم في بحر الشمال، فجئنا إلى «برجن»، حيث قابَلَنا رجل يُدعى «جانسن» ...

ضحك «مورجان» ضحكته المدوية وقال: ذلك البحار العجوز ... إنه لن يتحدث مرة أخرى.

أحمد: نعم ... وللأسف نحن المتهمان بقتله، رغم أن رجالك هم الذين قاموا بهذه العملية المخزية ... وقد جئنا للبحث عنهم.

تجهَّم وجهُ «مورجان» لأول مرة وقال: لعلك كنت تفضل أن يُقضى على عملي، من أجل بحَّارٍ عجوزٍ مُخرِّف.

لم يردَّ «أحمد»، وقال «مورجان»: إنني لا يهمني لماذا أتيتما ... المهم أن تثبتا أنكما قويان، وقادران على خدمتي ... وإلا ...

ثم دار في حركة تمثيلية، وفتح الباب، وتبعه «أحمد» و«عثمان»، ومشي «مورجان» حتى وصل إلى مبنى من الخشب، وسمع «أحمد» و«عثمان» صهيل الخيل ... وقال «مورجان»: إنني ما زلت مصرًّا على التقاليد القديمة، فلا أركب سوى الخيول ... هل تستطيعان ركوبها؟

ردَّ «أحمد»: سنحاول.

كانا طبعًا مدربين، وسرعان ما اعتليا صهوتي جوادين، وانطلقا خلف «مورجان»، نحو المروج الخضراء التي تُغطي الجزيرة ... كان المشهد غريبًا، فقد كان الميناء جنوب الجزيرة على أحدث طراز، وكذلك بقية المساكن ... أما في شمال الجزيرة، حيث كانوا يتجهون، فقد كانت حياة أخرى مختلفة، كأنها جزيرة من جزر البحر الكاريبي، في القرن الثامنَ عشرَ ... الأكواخ ... والمراعي ... والخيول ... وكل شيءٍ كما يتخيله المرء من الحياة قديمًا وكما تعرضه السينما أحيانًا عن الحياة منذ مائتي سنة.

سرعان ما وصلوا إلى مزرعة، وظهر مجموعة من الرجال الأشداء يحملون البنادق، ومن المدهش أن بعضهم كان يحمل الخناجر والسيوف، ويلبسون ملابس القراصنة ... ونزل «مورجان» ونزل «أحمد» و«عثمان».

وتقدم الرجال من الكابتن ذي اللحية الحمراء فقال: أين «بلود»؟

قال أحدهم: إنه موجود يا سيدي.

«مورجان»: استدعه فورًا.

وأسرع الرجل يدخل أحد الأكواخ، وعاد ومعه رجل مفتول العضلات، عاري الصدر، رغم البرد القارس، وصاح به «مورجان» مبتهجًا: «بلود» ... ما رأيك في مبارزة بالسيف؟

ردَّ «بلود» بفخرٍ: إنني جاهز يا سيدي.

«مورجان»: إذن أَحضِرْ سيفين وتعالَ هنا.

في لحظات كانت ساحة المزرعة قد أُعِدَّت للمبارزة، ولم يدُرْ بخَلَدِ «أحمد» أو «عثمان» أن هذا الاستعداد كان لهما ... وكم كانت مفاجأة لهما أن قال «مورجان»: يجب أن تثبتا أنكما قادران على الحرب ... وإلا انضممتما إلى الأتباع والخدم. ثم ألقى بأحد السيفين إليهما، وكان «أحمد» أقرب فالتقطه، ثم خلع جاكتته الثقيلة، واختبر السيف ... ولم تمضِ لحظات حتى كان السيفان يتلامسان، وقد أراد «بلود» أن يثبت جدارته، فهاجم «أحمد» بسرعة وبقسوة، ولم يكن يدرك أي خصم يلاعبه، فقد صمد «أحمد» للهجوم، ولم يتزحزح عن مكانه ... ثم التحما في صراعٍ عنيفٍ، خفق له قلب «عثمان» ... فقد كان «بلود» كالثور الهائج، يحاول إصابة «أحمد»، ولكن الشيطان رقم «١» ثبت في المعركة، وأخذ السيفان يرنان في الصمت الذي خيَّم على المكان، وعشرات العيون تراقب الصراع.

كانت الشمس قد بزغت للحظات، وقرَّر «أحمد» الاستفادة من هذه الميزة، فحاور «بلود»، حتى وضعه أمام الشمس، ثم أدار سيفه بحيث انعكست الشمس على عيني «بلود»، فأغشتهما لحظة كانت كافية لكي يهجم «أحمد»، وبضربة قوية أطار السيف من يد «بلود»، الذي وقف مذهولًا، بينما ارتفعت الصيحات، وبينها «مورجان»، الذي قال: يا لك من مبارز عنيد، إنك أول شخص في هذه الجزيرة يهزم «بلود»!

في هذه اللحظة ارتفع صوت كقصف الرعد ... ثم تعالت الأصوات، وبدا واضحًا أن الجزيرة تتعرض لسيل من قنابل المدفعية الثقيلة، وصاح أحد الرجال: إننا نتعرض للهجوم يا كابتن.

لم ينتظر «مورجان» لكي ينهي الرجل جملته، فقد أدرك أن جزيرته العزيزة قد هوجمت من عدوٍّ قويٍّ ... وقفز «القرصان» ذو اللحية الحمراء على ظهر جواده، وهو يصيح غاضبًا: إنكما جاسوسان ... كان يجب أن أعرف هذا من البداية.

كانت لحظات حاسمة لا بد أن يتصرف فيها «أحمد» و«عثمان» سريعًا، وإلا تعرضا للموت من أعوان «مورجان»، الذي ابتعد سريعًا ... وقد تصرفا بسرعة ... فقد قفز «عثمان» على أحد الحراس وضربه بقدمه في وجهه، وأمسك بمدفعه الرشاش قبل أن يسقط على الأرض وفي نفس الوقت استخدم «أحمد» السيف في ضرب أحد الحراس على ذراعه، والتقط

سلاحه ... وبالمدفعين سيطرا على الموقف، وأمر الرجال جميعًا بدخول مبنى المزرعة، ثم أغلقا عليهم الباب الحديدي الكبير، وقفزا على جوادَيْهما وانطلقا مسرعين.

لقد أدركا أن الشياطين الثلاثة «بو عمير» و«فهد» و«قيس» قد اتصلوا بإحدى الدول التي يقوم أسطولها بمهاجمة الجزيرة ... ولكن المهم، أين سفينة «القرصان»؟

أخذا ينهبان الأرض نهبًا، حتى أشرفا على الميناء، كانت سفينة «القرصان» تقف هناك، وشاهداها تتحرك وقد أطلقت حولها سحابة من الدخان، وفي نفس الوقت شاهدا على خط الأفق بارجة تطلق مدافعها على الجزيرة ... نزلا من على الجوادين وأسرعا إلى الميناء، كانا يحاولان بكل الطرق اللحاق بسفينة «القرصان»، التي أخذت تبتعد داخل سحابة الضباب الصناعي ... وكان السؤال الذي قفز إلى ذهنيهما هو ... هل الشياطين الثلاثة على ظهر سفينة «القرصان»؟ أم هم في البارجة؟ أم ذهبوا إلى مكان ثالث لا أحد يعرفه؟

لم يكن في إمكانهما عمل شيء ... فقد أخذ أعوان «القرصان» يركبون القوارب ويفرون في كل اتجاه ... وأسرع «أحمد» إلى مركز قيادة الميناء، واقتحم محطة اللاسلكي، وطلب من العامل المذعور أن يتصل بالبارجة.

تم الاتصال سريعًا وقال «أحمد»: كفوا عن الضرب ... لقد هرب «القرصان» في غلالة من الضباب، ومن الأفضل أن تتبعوه!

أجابت البارجة: إنه يبتعد بسرعة في اتجاه مضاد ... ولن نستطيع اللحاق به، سفينته أسرع.

أحمد: إذن اقتربوا ... هل معكم ثلاثة من زملائنا؟

ردت البارجة: لقد أخطرنا القبطان «يروف» أن زملاءكم الثلاثة تسللوا إلى سفينة «القرصان».

وأحس «أحمد» بقلبه يقع في صدره ... لقد أخذ «القرصان» رهينة ثمينة ... لقد سقطت جزيرته المجهولة حقًّا، ولكنه استطاع الفرار، ومعه ثلاثة من الشياطين ... فكيف يتصرف؟

أسرع خارجًا، وقابل «عثمان» في طريقه ... وحكى له الأحاديث التي تبادلها مع البارجة التي أخذت تقترب ... ووقف الاثنان يرقبان في وجوم الجزيرة التي هجرها سكانها والبارجة الضخمة وهي تقترب من الميناء.

هنـــداوي